﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذِكْـرُ وصايا لُقْمانَ الدّالَّةِ عَلى حِكْمَتِهِ

لمّا ذَكَر اللّهُ تَعالى إيتاءَهُ الحِكْمَةَ للُقْمان، وكانَ الإنْسانُ لا يَعْرِفُ حِكْمَةَ الحكيم إلّا بأقْواله وأفعاله، ولا صِدْقَ للكلام وحِكْمَته إلّا بمُطابقَتِهِ الواقِعَ؛ أعقبَهُ ببيانِ بعضِ وصايا لُقْمانَ لابْنِه الدّالَّة على حِكْمَته، فقال سُبْحانَه: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَعِظُهُۥ﴾: (وعظ) تدورُ تَصْريفاتُها على معنى التَّخويف، فالوَعْظُ: التَّخويفُ، والاسمُ مِنْهُ: عِظَةٌ، قال الخليلُ: هُوَ التَّذكير بالخير وما يَرِقُّ لَهُ القلبُ[2]، وما ذكَرَهُ الخليلُ إحْدى صورَتَي الوَعْظِ.

وحقيقةُ الوعظِ الكاملةُ: التَّخويفُ والزَّجر بما وقَعَ لِغَيْرِه، ويكونُ للتَّذْكير بالخَيْر مِمّا يَرِقُّ لهُ القَلْبُ، كَما يكونُ للتَّذْكير والإنْذار بِما وقَعَ للعُصاةِ[3].

وكأنَّ الأصل فيه أنَّه خاصٌّ بالزجر عمّا له عواقب سيئة فحسْبُ، ثم عُمِّم في الحضِّ على ما له ثوابٌ[4].

2) ﴿تُشۡرِكۡ﴾: (شرك) تدورُ اشْتِقاقاتُها على لُزوم شَيءٍ شَيْئًا إمْساكًا بِجامِعٍ دَقيقٍ، ومِنْهُ: شِراكُ النَّعْلِ؛ لكونِهِ ملازِمًا للنَّعْلِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 160.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعظ).
(3) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/ 264.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وعظ).

مُمْسِكًا إيّاها، وكذا شَرَكُ الصَّيْدِ، ومِنْ هذا التَّلازُمِ: الشَّرِكةُ، وهي خُلْطَةُ المِلْكَيْنِ[1].

وحقيقَةُ الشِّرْكِ شَرْعًا: تَسْوِيَةُ غَيْرِ اللهِ بِاللهِ، في شيءٍ مِنْ خَصائِصِ اللهِ تَعالى[2].

3) ﴿لَظُلْمٌ﴾: (ظلم) تدور اشتقاقاتُها على حَجْبِ ما يَنْبَغي، أو ما يُسْتَحَقُّ، أي: مَنْعُهُ أو انْتِقاصه[3]، ومِنْهُ الظَّلامُ؛ لحجبِهِ الرُّؤْيَة، والأرضُ المَظْلومةُ: التي لَم يَنَلْها المطرُ[4]، والظُّلم: وضعُ الشَّيْءِ في غير مَوْضِعه المُخْتَصِّ به، إمّا بنُقْصانٍ أو بزيادَةٍ، وإمّا بعُدولٍ عَن وقْتِه أو مَكانِه[5]، ومِنْهُ سُمّيَ الشِّرْكُ ظُلْمًا؛ لأنَّه وضعُ العبادةِ في غيرِ مَنْ خَلَقَ[6]، قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أعْظَمُ الكَبائِرِ وأبْشَعُها الشِّرْكُ بِاللهِ تَعالى

واذكُر - أيُّها الرَّسولُ الكريمُ - النَّصيحَةَ الأولى من لُقْمانَ لابْنِهِ ووصيَّتَهُ لَهُ حينَ قال لهُ واعظًا: يا بنيَّ لا تُشْرِكْ باللّهِ سُبحانَهُ؛ فتَظْلِمَ نَفْسَك، إنَّ الشِّرك لأعظَمُ الكَبائِرِ وأبشَعُها[7].

وترشدُ الآية الكريمةُ إلى أنَّ مكانةَ الوصيَّة من الأب لابنه الذي هو أشفق الناس عليه، وأحبهم إليه؛ فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يَعْرف، وإلى أهميَّة ابتداء لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشِّرك باللّه؛ لأنَّ النفس المُعَرَّضة للتزكية والكمال يجب أن يُقدَّم لها قبل ذلك تخليتُها عن مبادئ الفساد والضلال، وإلى أنَّه لا أفظعَ

(1) الرَّاغب، مفردات ألفاظ غريب القرآن الكريم، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (شرك).
(2) ابن قاسم العاصمي، حاشية كتاب التوحيد، ص: 15، ومحمد الخميِّس، شرح الرسالة التدمرية، ص: 89.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (ظلم).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والزَّبيديّ، تاج العروس: (ظلم).
(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، والرَّاغب، مفرداتُ ألفاظ القرآن: (ظلم).
(6) الشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 1/ 82.
(7) نخبة من العلماء، التَّفسير الميسر، ص: 412.

وأبشعَ ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرِّقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئًا، بمَن له الأمرُ كلُّه، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالربِّ الكامل الغنيِّ من جميع الوجوه، وسوَّى مَن لم ينعم بمثقال ذرَّة من النِّعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم، إلّا منه ﷻ، ولا يصرف السوء إلّا هو، فهل أعظم من هذا الظُّلم شيء؟[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾:

تَكْميلُ لُقْمانَ نَفْسَهُ وسَعْيُهُ في تَكْميلِ غَيْرِهِ

الواوُ في ﴿وَإِذْ﴾ من قولِ الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بَعْدَها عَلى جُمْلَةٍ: ﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾، والتَّقْديرُ: آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ حينَ جعَلْناهُ شاكِرًا في نَفْسِه، وحينَ جَعَلْناهُ واعظًا غيرَهُ، فَهُو في وقْتِ قَوْلِه ذلكَ لابْنِه كانَ قَد أوتيَ حِكْمَةً، فذلكَ القولُ مِنَ الحِكْمَة قَطْعًا[2].

وهذا العطفُ مِن بابِ التَّرَقّي؛ لأنَّ في الأولى تَكْميلًا لنفسِه، وفي الثّانية تكميلًا لغَيْرِه، ولا يكونُ الإنسانُ مُكَمِّلًا غيرَهُ إلّا إذا كَمَّل نفسَهُ قبلُ، فكانَتِ الثّانيَةُ أعْلى مرتبَةً مِنَ الأولى.

دلالةُ (إذْ) ومَوْقِعُها الإعْرابيُّ:

تنبغي مُوافَقَةُ القَلْبِ اللِّسانَ في الوَعْظِ

(إذْ) مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ في محلِّ نصبٍ على الظَّرفيَّة، وهذا الظَّرْفُ مُتَعَلِّق بفِعْلٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: واذْكُرْ بِقَلْبِكَ لتَتَّعِظَ وبلِسانِكَ لِتَعِظَ غيرَك؛ إذْ قالَ لُقْمان لابْنِه، وجملةُ: ﴿قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ في محلِّ جرٍّ بإضافةِ (إذْ) إليْها[3].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 428، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن: 1/ 648، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 153.

(2) الفخر الرازي، التفسير الكبير: 25/ 119، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 153.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 161، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 533.

ومالَ الزَّجّاجُ إلى أنَّ (إذ) في موضعِ نَصْبٍ بالفِعْلِ ﴿ءَاتَيْنَا﴾ من قولِه سُبْحانَهُ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، والمَعْنى: ولَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ؛ إذْ قالَ لابنِه[1]، واسْتَدْرَكَ عليه النَّحّاس بأنَّ الواوَ في ﴿وَإِذْ﴾ تَمْنَعُ مِنْ تسليطِ العامِلِ المتقدِّم عَلَيْها[2].

نُكْتَةُ إظْهارِ لقمان في مَوْضِعِ الإضْمارِ:

تَحْقيقُ مَعْنى الحِكْمَةِ بِذِكْرِ أفْرادِها

في قَوْلِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ إظهارٌ في محَلِّ الإضْمارِ؛ وذَلِكَ لأنَّ مُقْتَضى الظّاهِرِ أن يَرِدَ في النَّظْمِ القُرآنيِّ: (وَإذْ قالَ لابنِهِ وهُو يعِظُه)، ونكتةُ إظْهارِ اسم لقمان زيادةُ تَعْيين مَن صَدَرَ مِنْهُ هذا القولُ؛ تحقيقًا لِمَعْنى الحِكْمَةِ التي أوتيَها بذِكْرِ أفرادٍ مِنْها.

مَعْنى اللّامِ في قَوْلِهِ: ﴿لِٱبْنِهِۦ﴾:

تَـخْـصـيـصُ المَوْعِظَةِ دَليلٌ عَلى الاعْتِناءِ بِها

اللّامُ في ﴿لِٱبْنِهِۦ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ دالَّةٌ عَلى الاخْتِصاصِ، أي: إنَّ لُقْمانَ خَصَّ ابنَهُ بهذِهِ المَوْعِظَةِ، وتخصيصُهُ بها أمارَةٌ عَلى شِدَّة عِنايَتِه بها وبِأُسْلوبِها المُحَقِّق الغَرَضَ مِنْها في تزكية نَفْس ابنه وكمالها.

غَرَضُ تَقْديمِ المُسْنَدِ إلَيْهِ عَلى المُسْنَدِ:

الاهْتِمامُ بِشَأنِ الوَعْظِ الصّادِرِ مِنْ لُقْمانَ

قُدِّم المُسْنَدُ إليه عَلى المُسْنَدِ الفِعْليِّ في قولِ اللّهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾؛ لإرادةِ تأكيدِ النِّسْبَةِ، وذلكَ لأنَّ فِعْلَ الوَعْظِ مُسْنَدٌ إلى الضَّمير المُنْفَصِل (هُوَ)، ومسندٌ إلى الضَّمير المُسْتَتِر في ﴿يَعِظُهُۥ﴾، فكانَ في هَذا تَكرارٌ للنِّسبةِ، وفي هَذا التَّكْرار تأكيدٌ لنِسْبَةِ الوَعْظِ إليه، وذلكَ دالٌّ على الاهْتِمامِ بِشَأنِه.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾:

الـوَعْـظُ زَجْـرٌ مَقْرونٌ بِتَخْويفٍ

الواوُ في ﴿وَهُوَ﴾ من قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ للحالِ، والجُمْلَةُ

(1) الزجاج، معاني القرآن: 4/ 196.
(2) النحاس، إعراب القرآن: 3/ 194.

بعدَها حاليَّة، والمَعْنى: إذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِه والحالُ أنَّه يُخاطِبُه بالمَوْعِظَةِ المُرَغِّبة له في التَّوحيد الصّادَّة لَهُ عن الشِّرك، وفي ذِكْرِ جُمْلَةِ الحالِ إشارَةٌ إلى أنَّ ابنَهُ كانَ على حالٍ تَسْتَدْعي الوعظَ والإرْشادَ؛ إذِ الوَعْظُ زَجْرٌ مقترِنٌ بتَخْويفٍ، والمَزْجورُ عَنْهُ يُعْرَف بمتعلِّقِ فعلِ الموعظَةِ، وهو هنا النَّهي عنِ الشِّرك باللّه سُبحانه، ولازمهُ الأمْرُ بالتَّوحيد[1].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِـ﴿يَعِظُهُۥ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

عِنايَةُ الواعِظِ بالطَّريقِ الموصِلِ إلى ما يُرَقِّقُ القُلوبَ

في اخْتيارِ لَفْظِ الوَعْظِ مِن قولِ اللّه سُبْحانَه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ إيماءٌ إلى عظَمَة شفَقَةِ لُقْمانَ عَلى ابْنِه، وشِدَّةِ حِرْصِه على هِدايَتِه؛ إذِ الوَعْظُ تَذْكيرٌ بالخَيْرِ وما يَرِقُّ له القلبُ، وهذا يَقْتَضي عنايةً شديدةً في طريقِ الوُصولِ إلى ما يَرِقُّ لهُ القَلْبُ.

غَرَضُ النِّداءِ بِـ(يا):

الإيماءُ إلى عُلُوِّ شَأنِ النِّداءِ وجَلالَةِ مَضْمونِهِ

افْتُتِحت موعِظَةُ لُقْمانَ بنِداءِ المَوْعوظِ في قَوْلِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾، مع أنَّ توجيهَ الخِطابِ لَهُ مُغْنٍ عَن نِدائِهِ؛ لحُضورِهِ بالخِطابِ؛ للإيماءِ إلى مَزيدِ الاهْتِمامِ بالغَرَضِ الذي سيقَ الكَلامُ مِنْ أجْلِه، فيكونُ النِّداء مُسْتَعملًا مجازًا في طلَبِ حُضورِ الذِّهن لإدراكِ الكَلامِ ووَعْيِه[2].

وحرفُ النِّداء (يا) موضوعٌ في الأصْلِ لِنِداءِ البَعيدِ، والمُنادى هَهُنا قريبٌ، كَما يُومِئُ إليهِ قولُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾، وفي نِداءِ القَريبِ بالأداةِ المَوْضوعَةِ لِنِداءِ القَريبِ إشْعارٌ بِعُلُوِّ شَأنِ النِّداءِ وأهَمِّيَّةِ مَضْمونِهِ، وأنَّ المُخاطَبَ لا يَفي بِما هُو حَقُّه مِنَ السَّعْيِ فيهِ وإنْ بذَلَ وُسْعَهُ، واسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ، فكأنَّه غافلٌ، بَعيدٌ ذِهْنُهُ عَنْهُ[3].

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 413، والشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 134، والقِنَّوجي، فتح البيان: 10/ 283، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 153، وعلي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1590.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 154.

(3) أحمد إبراهيم محمد علي، سورة لقمان، دراسة بلاغية، ص: 1591.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ البُنُوَّةِ وإضافَتِهِ:

إظْهارُ الشَّفَقَةِ في الوَعْظِ أدْعى لِقَبولِهِ

في اخْتيارِ لُقْمانَ نِداءَ ابنِه بلَفْظِ البُنُوَّة في قولِه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ مخاطبَةٌ لَهُ بأحَبِّ ما يُخاطَبُ به، معَ ما فيهِ مِن إظْهارِ التَّرحُّم والتَّحنُّن والشَّفقَةِ؛ ليَكونَ ذَلِكَ أدْعى لقَبولِ وعْظِه ونُصْحِه[1].

وتصغيرُ لَفْظِ البُنُوَّة زيادَةٌ في التَّلطُّف والتَّرقيقِ والإشْفاقِ والمَحبَّة، وليَدُلَّ التَّصغيرُ على أنَّه لا يزالُ في حاجةٍ إلى نَصائحِه ومَواعِظِه، وكِبَرُ سنِّهِ لا تجعلُهُ في غِنًى عن ذَلِك[2].

وفي إضافَةِ لَفْظِ البُنُوَّةِ إلى ضميرِ المتكلِّمِ إظهارٌ لِغاية الشَّفقةِ وكمالِ النُّصحِ؛ لأنَّ مِن شأنِ الأبِ محبَّةَ الخيرِ لِولَدِهِ ومحبَّتَهُ كَمالَ حالِهِ.

تَوْجيهُ القِراءاتِ في (يُنَيَّ):

التَّكامُلُ الدّلاليُّ لِلقِراءاتِ القُرْآنيَّةِ

قَرأ حفصٌ عن عاصم (يُنَيَّ) مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ بِفَتْحِ الياءِ، وقرأها ابْنُ كَثيرٍ بإسْكانِ الياءِ مخفَّفةً (يُنَيْ)، وكسَرها الباقونَ مشدَّدةً[3].

فوَجْهُ مَن شدَّد الياءَ مَكْسورَةً: أنَّ الأصلَ فيها ثلاثُ ياءاتٍ: ياءُ التَّصغير، وياءٌ هي لامُ الفعل في (ابن) - إذْ أصْلُها (بَنَوٌ)، فالتَّصغيرُ يرُدُّ الكلماتِ إلى أُصولِها - وياءُ الإضافَةِ التي يَجِبُ كسرُ ما قَبْلَها، فأُدْغِمَت ياءُ التَّصغير في الثّانية التي هيَ لامُ الفِعْلِ، وكُسِرَت لأجْلِ ياءِ الإضافَة، ثُمَّ حُذِفَت ياءُ الإضافَةِ لاجْتِماعِ الأمثالِ، وبَقيَتِ الكَسْرَةُ دالَّةً عَلَيْها.

ووَجْهُ مَن فتَحَ الياءَ، وشدَّدها أنَّه لَمّا جيءَ بِالكَلِمَةِ عَلى أصْلِها

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 161.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 63، والقِنّوجي، فتح البيان: 10/ 283، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 11636.

(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 289، والبنّا الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 321.

بياءاتٍ ثلاثٍ؛ استُثْقِل اجْتِماعُ الياءاتِ والكَسرات، فأُبْدِلَت الكَسْرَةُ التي قبلَ ياء الإضافَةِ فتحةً طلبًا لِلتَّخفيف، فانْقَلَبت ياءُ الإضافَةِ ألفًا، ثُمَّ حُذِفَت.

ووَجْهُ إسكانِ الياءِ أنَّه قد حُذِفَت ياءُ الإضافَةِ على أصْلِ حَذْفِها في بابِ النِّداء، ثُمَّ اسْتُثْقِلَ تَشْديدُ الياءِ مَكْسورَةً، فحُذِفَت لامُ الفِعْلِ، وبَقِيَت ياءُ التَّصغير ساكِنَةً[1].

دِلالَةُ النَّهْيِ في قَوْلِهِ: ﴿لَا تُشْرِكْ﴾:

مُجانَبَةُ الشِّرْكِ أعْظَمُ الواجِباتِ الشَّرْعيَّةِ

النَّهي في ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ﴾ يُراد به النُّصْحُ والإرْشادُ، ولا تَمْنَع هذهِ الدِّلالَةُ من وُجودِ الامْتِثالِ لِمَضْمونِ النُّصْحِ شرعًا، فإنَّ اجْتِنابَ الشِّرك أعظمُ الواجباتِ الشَّرعيَّة.

ونَهْيُهُ عَنِ الشِّرك مُشْعِرٌ بأنَّ ولدَهُ كانَ على مِلَّةٍ تُخالِفُ ملَّة التَّوحيد؛ إذِ الأصْلُ في النَّهي أن يُوجَّهَ إلى المُتلَبِّس بالمَنْهيِّ عنهُ أو عِنْدَ مُقاربَةِ التَّلَبُّس به، ولا يُنْهى في الأصلِ عَن شَيْءٍ مُنْتَفٍ عنِ المَنْهيِّ.

ويجوزُ أن يكونَ النَّهْيُ نَهْيًا عَنِ الدَّوام، على قولِ مَن يرى أنَّ ابنَ لقمانَ كانَ مُسْلِمًا، فيكون النَّهي مرادًا به دوامُ مُجانبَةِ الشِّرك لِئَلّا يقع مِنْهُ إشْراكٌ في المُسْتَقْبَل[2].

مَعْنى الباءِ في قَوْلِهِ: ﴿بِٱللَّهِۖ﴾:

أثَرُ الوُقوفِ في تَنَوُّعِ مَعاني الحُروفِ

الجارُّ والمجرورُ ﴿بِٱللَّهِۖ﴾ من قولِ اللهِ تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ﴾ مُتَعَلِّقان بفِعْلِ الإشْراكِ ﴿تُشْرِكْ﴾، ومَن وقفَ على: ﴿لَا تُشْرِكْ﴾؛ جعلَ الباءَ لِلقَسَم، والمَعْنى: (أُقْسِمُ باللهِ ﷻ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيمٌ[3]، وهو تكلُّفٌ واضح في قلب حرف الجر إلى قَسَم، ويردُّه أنَّ غالب الأوامر في القرآن بالنَّهي عن الشرك جاءت بتعدية فعله بالباء.

(1) محمد سالم محيسن، المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: 2/ 246 - 247.

(2) القِنّوجي، فتح البيان: 10/ 283، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 154، وعلي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1591.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 71، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 84.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالاسْمِ الأحْسَنِ (الله):

الزَّجْرُ عَنِ الشِّرْكِ بِبَيانِ عَظَمَةِ حَقِّ اللهِ تَعالى

في التَّعبيرِ بالاسْمِ الأحْسَنِ (اللَّه) مِن قولِ اللهِ تَعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ مزيدُ إشفاقٍ على ابنِه، وذلكَ بإبْرازِ الاسْمِ الأعْظَمِ الموجِبِ اسْتِحْضارَ صفاتِ الجَلالِ والجَمالِ والكَمالِ[1]، فيَكون ذَلِكَ أزْجَر عَلى مُقارَبَة الشِّرْكِ.

نُكْتَةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾:

تَعْليلُ الأحْكامِ أدْعى لِامْتِثالِها

فُصِل قولُ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ عمّا قَبْلَهُ؛ لوُقوعِه تعليلًا له، وهو تعليلٌ للنَّهْيِ عَن الشِّرك أو تعليلٌ للانتهاءِ عَنْه[2].

ويجوزُ أن يكونَ فَصْلُ الجُمْلَةِ؛ لكونِها خبرًا مِنَ اللهِ تعالى شأنُهُ منقطِعٌ عَن كلامِ لقمانَ، وإنِ اتَّصل بهِ في تَأكيدِ المَعْنى[3].

بَيانُ قائِلِ هَذِهِ الجُمْلَةِ:

تَأكيدُ الكَلامِ السّابِقِ وتَقْريرُ مَعْناهُ في النَّفْسِ

اخْتُلِفَ في جُمْلَةِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾، فقال جَماعَةٌ مِن أهْلِ العِلْمِ: إنَّها مِن كلامِ اللهِ تَعالى، فتكونُ جُمْلَةً مُسْتَأنفةً واردةً على جِهَةِ التَّأكيدِ لِما قَبْلَها، وقال آخَرونَ: إنَّها مِن تمامِ كلامِ لُقْمانَ في وصيَّتِه لابنِه، وكونُهُ مِن كلامِ لُقْمانَ أظْهَرُ[4]، كَما يَدُلُّ عليه ما جاءَ عَنِ ابْنِ مَسْعودٍ ﷺ أنَّه قالَ: لَمّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: 82]؛ شَقَّ ذَلِكَ على أصْحابِ النَّبيِّ ﷺ، وقالُوا: أيُّنا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ كَما تَظُنُّونَ، إنَّما هُوَ كَما قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: 1]»[5].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 161.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 161، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 71، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 84.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 155.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 413، والقِنوجي، فتح البيان: 20/ 283، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 84، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 156.

(5) رواه البخاري في صحيحه (برقم: 6937)، ومسلم في صحيحه (برقم: 124).

عِلَّةُ البَدْءِ بِالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ:

أهَمُّ مُهِمّاتِ الدّيانَةِ تَوْحيدُ اللهِ تَعالى ومُباعَدَةُ الشِّرْكِ بِهِ

بدأ لُقْمانُ وعِظَهُ ابنَهُ بنَهْيِهِ عن الشِّرك، فقالَ اللهُ سُبْحانَهُ عَن ذَلِكَ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾؛ لكونِهِ أهَمَّ من غيرِهِ؛ إذْ نَفْيُ الشِّرك يستلزِمُ الأمرَ بالتَّوحيد، وهو أهَمُّ المُهِمّات[1].

وابتدأ وعظَهُ ابنَهُ بطلَبِ إقلاعِهِ عنِ الشِّركِ أيضًا؛ لأنَّ النَّفس الطّالبة للتَّزكيَةِ والكمالِ يجبُ أن يُقدَّم لها قبلَ ذلكَ تَخْليَتُها عَن أصولِ الفسادِ والضَّلال، وذلكَ لأنَّ إصلاحَ العقائدِ أصلٌ لإصلاحِ العمَلِ[2].

بَلاغَةُ تَوالي المؤَكِّداتِ:

بَيانُ شَناعَةِ الشِّرْكِ وعِظَمِ جُرْمِ المُشْرِكِ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ حشْدٌ لمؤكِّداتٍ، وهي: إنَّ واللّام واسميَّةُ الجملةِ، وفي وصْفِ الظُّلْمِ بالعظمَةِ ضَرْبٌ من ضُروبِ التَّوكيدِ المَعْنَويِّ، وهذهِ التَّأكيداتُ تُشيرُ إلى فَظاعَةِ الشِّرك، وشناعةِ جُرْمِ المُتَلَبِّس به، وليُصَوِّر لقمانُ عِظَمَ الكُره الذي شَغَلَ نفسَهُ، وملأ قلبَهُ للشِّرك باللهِ تَعالى، وفي هذا التَّأكيد أيضًا: تقريرٌ لهذا المعنى وتثبيتُه في نفسِ المُخاطَب؛ ليكونَ ذلك أدْعى لاجْتنابِه[3].

مَعْنى (أل) في ﴿ٱلشِّرْكَ﴾:

شُمولُ لَفْظِ (الشِّرْك) لِجَميعِ أنْواعِهِ

(أل) في ﴿ٱلشِّرْكَ﴾ من قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ هي لامُ الجِنسِ المفيدَةُ عمومَ أفرادِ الشِّرْك، فهو شاملٌ لكلِّ ما يقَعُ عليهِ هَذا اللَّفْظُ، فيدخُلُ في لفظِ ﴿ٱلشِّرْكَ﴾ الشِّرْكُ الأكبَرُ والشِّرْكُ الأصغَر[4].

دلالةُ اللّامِ في ﴿لَظُلْمٌ﴾:

المُبالَغَةُ في التَّنْفيرِ مِنَ الشِّرْكِ

اللّامُ في ﴿لَظُلْمٌ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ هي

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير: 25/ 119، والقِنوجي، فتح البيان: 10/ 283، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 11636.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 155.

(3) علي، سورة لقمان دراسة بلاغية، ص: 1592 - 1593.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 161.

لامُ الابتداء، المسمّاة هنا باللّام المُزَحْلَقَة، لكنها تزحلقت بعد ﴿إِنَّ﴾ المؤكِّدة؛ كراهية ابتداء الكلام بمؤكِّدين؛ إذ التقدير في الأصل: (إنَّ لَلشِّركَ ظلمٌ)، وهيَ مِن مؤكِّدات الجُمْلة الخبريَّة[1]، وفي ذلكَ تعظيمُ شَأنِ الشِّرْكِ، ومُبالغَةٌ في التَّنفير منه بتأكيدِ نِسْبَةِ الظُّلْمِ إليهِ.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ لَفْظِ الظُّلْمِ:

أَشْنَعُ ما في الشِّرْكِ تَسْويَةُ المَخْلوقِ بِالخالِقِ

نُكِّر لفظُ ﴿لَظُلْمٌ﴾ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ لإفادَةِ التَّعْظيم، أي: إنَّ الشِّركَ ظُلمٌ عظيمٌ جِدًّا، وذلك لظُهورِ ظُلْمِهِ مِن جهاتٍ عديدَةٍ، أبرزُها أنَّ فيه تسويةَ المخلوقِ بالخالقِ.

فائِدَةُ وصْفِ الظُّلْمِ بِالعِظَمِ:

في وصْفِ الظُّلْمِ بالعِظَمِ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ تقبيحٌ لهُ وتشنيعٌ، ولازمُ ذلك بيانُ سوءِ صنيعِ المُتَلَبِّس به.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النّصيحة والوعظ:

الوَعْظُ أَخَصُّ مِنَ النَّصيحَةِ

الوعظُ هُوَ التَّخويفُ والزَّجر بما وقَعَ لِغَيْرِه، ويكونُ للتَّذْكير بالخَيْر مِمّا يَرِقُّ لهُ القَلْبُ، كَما يكونُ للتَّذْكير والإنْذار بما وقَعَ للعُصاةِ[2]، والنَّصيحةُ: كلمَةٌ جامِعَةٌ تدلُّ على إرادَةِ الخَيْرِ للمَنْصوحِ لَهُ وبذلِهِ لَهُ[3].

فالنَّصيحةُ عَلى هَذا أعمُّ مِنَ الوعظِ؛ لأنَّ النَّصيحةَ قَد تكونُ تَذْكيرًا بمعلومٍ مغفولٍ عَنْهُ، أو تعليمًا لمجهولٍ، بخلافِ الوَعْظِ، فغالِبُ اسْتِعْمالِهِ يكونُ في التَّذكير بمعلومٍ مَغْفولٍ عَنْهُ.

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 21/ 77، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 534.
(2) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/ 264.
(3) ابن رجب، جامع العلوم والحكم: 1/ 219.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»